تعريف بدواوين شعرية موريتانية

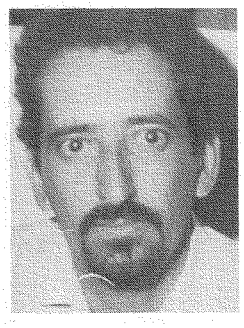

سيدي أحمد ولد أحمد سالم

عرفت المكتبة الشعرية الموريتانية أول ديوان مطبوع سنة 1980 حين صدر ديوان الشاعر أحمد ولد عبدالقادر «أصداء الرمال» وهو ديوان وطني يحمل الهم الموريتاني ويعبر عن شجون الموريتاني خاصة تلك التي عاشتها البلاد في السبعينات.

وقد تناول بعض الباحثين هذا الديوان دراسة وتحليلاً وظل هذا الديوان الوحيد في الساحة الموريتانية على امتداد عقد من الزمن، ولم ينشر أي ديوان حتى مطلع التسعينات.

وسنكتفي هنا بالتعريف بهذه النصوص المنشورة في السنوات الأخيرة وهي خمسة نصوص.

ترانيم لوطن واحد

ديوان الشاعر مباركة بنت البراء

صدر ديوان «ترانيم لوطن واحد» سنة 1991 عن المطبعة الوطنية بانواكشوط. وقد قدّمه الأستاذان سيدي أحمد ولد الدي ود. أحمد ولد السيد.

وأول ملاحظة تبدو للقارىء طغيان النزعة الوطنية على ديوان الترانيم، فهو يحمل الهم الموريتاني بل والهم العربي عموماً، هذا فضلاً عن هموم المرأة إذ لم تسه الشاعرة مباركة عن بنات جنسها.

فهاجس الوطن وهموم المرأة ينسابان بحيوية داخل اللغة الشاعرية والتصوير الحي والأوزان الجميلة وتتردد أصداؤه في التراكيب والمعجم...

فلا عجب إذن أن يتآلف قارىء «ترانيم لوطن واحد» مع ألفاظ مثل: النخلة، القتاد، الصمغ، الرمل... فهي عنوان البيئة الموريتانية الصحراوية الأصيلة..

ولا عجب كذلك أن يجد ذلك النداء القومي الأصيل النابع من عروبة واعية وحمل لمعاناة الشعب العربي في هذا الزمن القاتم القاتل...

فالشاعرة مباركة تقول في مقدمة قصيدة «مسفر» التي ألقيت في المربد العاشر بالعراق: «ما دامت في الذهن ظلال نخيل وأشجار قتاد ولوح ومئذنة، وما دمنا مؤمنين بلغة أم ووطن أب، فهذا يكفي لأن يوفر لنا العزم والقدرة ويمنحنا هوية الشعور والتجاوز: لأننا نحمل كلماتنا مسكونة بهاجس الرمل والوطن والحب الأسمر».

والشاعرة مباركة تجمع بين القصيدة العمودية والقصيدة الحرة، فلا هي تنسى أصالتها ولا هي أيضاً متخلفة عن الركب، وقد جاء الجمع متجانساً منسجماً جميلاً.

وفي لغة سهلة وتصوير أخاذ تعبر مباركة عن موريتانيا رمالاً ونخلاً وقتاداً ونهراً، ففي قصيدة «رمل ونهر» تقول الشاعرة:

رملي ونهري توأمان
غذاهما درّ حنان
وفي الصباح يحملان القوس والصنارة
وأملأ الجرة أروى النخلات
وحين نجعة الرعاة
تبرز من إطلاقة المساء
يعود ولداي

فيتحفان الحي بالأسماك والغزلان

بالسعد والليف وزهر الأقحوان...

وعلى لسان المرأة الموريتانية تعلن الشاعرة مباركة موقفاً لا هوادة فيه يرفض أن تكون المرأة مجرد متعة أو آلة منزلية، ففي بداية قصيدة «ثرثرة غائرة» تقول:

أنا من علمت فلا غِرة

ولا دمية من دمى الملعب

ولست بأقراص حلوية

تنحّى وتؤخذ للمطلب...

ومن المعلوم أن للشاعرة مباركة إصدارات جديدة مثل «حكايات جدتي» وهي مجموعة قصصية للأطفال صدرت مؤخراً بتونس، كما أنها ساهمت في تأليف كتاب «الحكايات الشعبية الموريتانية».

الأرض السائبة

ديوان الشاعر: محمد ولد عبدى

صدر هذا الديوان سنة 1994 بأبي ظبي بالإمارات العربية المتحدة.

ويجمع ديوان محمد ولد عبدى أبعاداً عديدة تلاحظ مباشرة عند القراءة الأولى، فهو ديوان مثقل بشجون الموريتاني، كما يحمل في طياته معاناة المواطن العربي، وينضح كذلك بثقافة عربية أصيلة يمتشق صاحبها قلما يذكرنا بعهود الجاحظ وأبى حيان التوحيدي، كل هذه الأبعاد تندغم في مسحة صوفية تتدرج في مقامات الشعر تدرجاً وتحل في عوالم التصوير حلولاً...

وقد جمع ولد عبدى بين عمودية الخليل بإيقاعها الجزل وانسيابية القصيدة الحديثة دون أن يثير هذا الجمع نشازاً أو يحدث فجوة.

فهذه قصيدة «الحجارة» التي مطلعها:

في أول يوم من الموت

في كفن الكلمات

وبعد ثلاثين عاماً من النزق العربي

وقفت على «كدية الجلد» أرقب قيامة من جديد

نظرت إلى الخيل خرسى

يواقعها الذل

في خيمة الوطن العربي...

وقصيدة «الانتظار والزمن» وهي من قصائد الديوان الحرة، تثير في القارىء متعة عالية لما تحمله من صور فنية، كما يندهش القارىء للروح الصوفية العميقة التي تحملها قصيدة «المواقف والمخاطبات»...

وتعتبر قصائد ديوان «الأرض السائبة» الثلاث والعشرون نموذجاً حياً من الشعر الموريتاني المعاصر على مستوى مضامينه الوطنية والاجتماعية وعلى مستوى النضج الشعري والتجربة الغنية...

وجه من مرايا الفقراء

ديوان الشاعر محمد ولد الطالب

صدر ديوان «وجه من مرايا الفقراء» سنة 1994 بمطبعة النصر بانواكشوط.

ويلاحظ القارىء أن مضامين ثلاثة استقطبت قصائد الديوان الثلاث والثلاثين وهذه المضامين هي: المرأة والمجتمع والوطن وقد جاءت هذه المضامين في لغة عفوية قريبة يتسابق الذهن والعين إلى التقاطها.

ففي قصيدة «اضحكى لي» يقول ولد الطالب:

اضحكي لي ثم اطلبي ما تشائي

زرقة البحر أو نجوم السماء

اضحكي لي وحطّمي كل قيد

حرريني من لوعتي وشقائي

من جنوني وحيرتي وشكوكي

من هروبي وعزلتي وانطوائي...

وفي قصيدة «رؤيا» الحرة ينظر الشاعر إلى المستقبل فلا يرى إلا مستقبلاً قاتماً وتحولاً منذراً بالرحيل نحو نهاية مجهولة:

سترحل هذى السواقي عطاشا

وتترك للموت وجه رُبانا

سترحل تلك النجوم

لتبحث في اللاهنا عن سماء

وتهرب من تحتنا الأرض يوما
لتبحث في اللاهنا عن خطا
تطهّر وحل خطانا
سترحل هذى السواقي عطاشا
وقد عكرتها دمانا
لتبحث في دمعها عن مرايا
ونرحل نحن
لنبحث في ذاتنا عن سوانا.

أنشودة الدم والسنا

ديوان الشاعر ببها ولد بديوه

صدر ديوان «أنشودة الدم والسنا» سنة 1995 عن مكتبة الآداب بالقاهرة. وقد قدم له الدكتور والناقد المصري عز الدين إسماعيل الذي أشاد بتجربة الشاعر ولد بديوه حيث يجمع كما يقول عز الدين بين المقدرة الفنية والجدّيّة والطرافة.

وهذا الديوان لا تكفيه قراءة واحدة وربما لا تكفيه عدة قراءات متتالية، لما فيه من الرمز المكثف والتعالي على اللغة المباشرة والولوج في عالم المجاز والاستعارة... فمرة يخال القارىء أن بإمكانه فهم بعض تصويرات الشاعر، فيجد في بعض التراكيب ما يركن إليه ويحاول فهمه إلا أن الشاعر يجذب خيط الفهم ويغوص من جديد بعيداً، ويظل القارىء في عملية ركض شديد خلف هذا النص المتأبّي على الفهم الشارد في عالمه الخاص.

ومع كل هذا الغموض فالديوان يحمل في طياته نزعة نحو معجم صوفيّ يتقاطع مع فيوضات ابن عربي الحاتمي وتراكيبه..

ففي قصيدة «الغسق» يقول ولد بديوه:

غسق من الدم هذه الساعات..
فانظر!
كيف تشتعل الحواشي من سدول الفجر
في الفجر المولع..
في عوارضه الجريحة..
والدخان على جناح الأفق..
مسودّ جناح الأفق..

وتغلب على الديوان القصائد «النثرية» مع أن فيه ما هو عمودي، من ذلك قصيدة «العواء»:

إنّي لأسمع صرخات تنبئني
تشدني لأمام دامع قلق
يداي تلتمسان الليل حولهما
هل تلمسان ولو بقيا من الغسق

ولأكرر هنا ما قاله الدكتور عز الدين إسماعيل أن هذه التجربة أخصب من أن ألمّ بأبعادها في هذه العجالة، ولكني أردت بهذه الكلمات أن أسجل انطباعاً أولياً عن هذا الديوان سوف يجاوزه القراء بلا شك عندما يعايشون هذه التجربة ويتأملونها في ريث وتدبر...

مدائن الإشراقات الكبرى

ديوان الشاعر بدى ولد أبنو

نشر ديوان «مدائن الإشراقات الكبرى» سنة 1966 بدار القلم بباريس.

وقد قدم له الشاعر المغربي يحيى الشيخ. وتمتاز قصائد ولد أبنو بمسحة صوفية يتجلى فيها الإحساس بالحب والألم بالشوق والحنين والثورة والرفض والإيمان... كل هذه المعاني تجعل القارىء يشعر بأن لولد أبنو معجماً خاصاً نحته لنفسه داخل اللغة العربية التي لم تضنّ عليه بمكنونها...

ولذلك جاء ديوان بدى ولد أبنو مثيراً حقاً بقصائده الثلاثين العمودية والحرة وحتى القصيدة النثرية.